ذكاء القضاة :

عُرف عن القضاة المسلمين السابقين سرعة البديهة والذكاء الحاد ، ممّا ساعدهم على الوصول إلى الحلول الناجعة والمفيدة من ذلك :

أن امرأةً جاءت إلى القاضي شُريح تخاصم رجلاً ، فأرسلت عينيها فبكت ، فقال الشعبي : يا أبا أمية ، ما أظنُّ هذه البائسة إلا مظلومة .

فقال شُريح : إنَّ إخوة يوسف عليه السلام قال عنهم القرآن الكريم : ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾ [يوسف : ١٦] .

أما أبو حازم القاضي فيقول : وُلِّيَ يحيى بن أكثم قضاء البصرة وسنُّه عشرون أو نحوها ، فقال له أحدهم : كم سنُّ القاضي ؟ فعلم يحيى أنه قد استُصغر فقال له : أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجَّه به النَّبي ﷺ قاضياً على أهل مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجَّه به النَّبي ﷺ قاضياً إلى اليمن ، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجَّه به عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على أهل البصرة . . .

. . . وقال ابن الجوزي رحمه الله : بلغني أن رجلاً جاء إلى أبي حازم ، فقال له : الشيطان يأتيني فيقول : إنك قد طلقت زوجتك فيشككني .

فقال أبو حازم : أو ليس قد طلقتها ؟ قال : لا ، قال : ألم تأتني أمس فطلَّقتها عندي ؟ فقال : والله ما جئتك إلا اليوم ، ولا طلَّقتها بوجه من الوجوه .

قال : فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية .

. . . ودخل أحمد بن أبي دؤاد على الواثق ، فقال له : كان عندي الساعة محمد بن عبد الملك الزيات ، فذكرك بكل قبيح ، فقال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي أحوجه إلى الكذب عن قول الصدق عليَّ ورغبني عنه .